آداب الاستغفار وفوائده على النفس البشرية

The proprieties of seeking forgiveness and it's benefits on the human soul

إعداد: **عبد الرحيم سويني**: طالب باحث دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

Abderrahime Souini: Faculty of Arts and Humanities, Mohammed V, Univiersity, Morocco

Email: souini.abderrahime1988@gmail.com

الملخص:

يعد الاستغفار من أجلّ الطاعات التي يُتَقرب بها العبد إلى الله تعالى، وذلك لما له من الفوائد العظيمة والثمار الطيبة على النفس البشرية، الدافع إلى تربية النفس على الخير والصلاح، وتزكيتها وتطهيرها مما تقع فيه من الذنوب، والمعاصي، والبلايا، والمصائب المنتشرة في زماننا، فيكون الإنسان في حاجة إلى الاستغفار والمداومة عليه. ولذلك فالهدف من هذا البحث إبراز أهمية الاستغفار وفوائده المثمرة لقيم الخير والصلاح، وقد اعتمدت في هذا البحث منهجا تحليليا ووصفيا، توصلت فيه إلى مجموعة من النتائج، منها: أن الاستغفار يعد من أجل الطاعات في الإسلام، وأن للاستغفار فوائد عظيمة على الفرد والمجتمع، لا يتأتى هذا النفع ولا يتم إلا من خلال التزام العبد آدابه وضوابطه الشرعية. لذلك فإن هذه الدراسة أوصت بالاهتمام بالاستغفار، وبيان فوائده ومقاصده، مع الحرص على تربية الأجيال قيمه وأخلاقه.

الكلمات المفتاحية: الاستغفار، آداب الاستغفار، فوائد الاستغفار، أثر الاستغفار

Abstract:

Forgiveness is one of the greatest worships which the servant draws closer to God Almighty, because of its great benefits and good fruits for the human soul thus the it is motivation to educate soul on goodness and righteousness, and purify it from the sins, disobediences, and calamities that are common in our time. So, the person is in need of forgiveness and persistence in it. The benefit of seeking forgiveness and its benefits for the servant does not come except through adherence to its etiquette and the rules of Sharia. Therefore, the aim of this research is highlighting the importance of forgiveness and its good benefits for the values of goodness. This study relied on the descriptive and analytical method and it reached to a set of results, the most important is that the forgiveness is one of the best worships in Islam for its great benefits on the individual and society. That benefit comes through a servant's adherence to his etiquette and legal regulations. So, the study recommended paying attention to seeking forgiveness, stating

its benefits and purposes, while being keen to educate generations about its values and morals.

Keywords: seeking forgiveness, the etiquette of seeking forgiveness, the benefits of seeking forgiveness, the effect of seeking forgiveness.

المقدمة:

يعد الاستغفار من أجلّ الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وذلك لما له من الفوائد العظيمة والآثار الطيبة على الفرد والمجتمع، وقد اهتم علماء الأمة قديما وحديثا به مع بيان فضله وأحكامه في الشرع، إلا أننا اليوم في حاجة إلى الاستغفار، في ظل التدافع الحضاري الذي يعيشه العالم عامة، والمجتمع الإسلامي خاصة، الذي بات يعيش مجموعة من المشاكل والتحديات النفسية والروحية التي لا يمكن الخروج من أَلَمِها إلا بالاستغفار، وطلب المغفرة من الله تعالى. لذلك فإن الاستغفار يعد من أهم مقومات تزكية النفس وتربيتها على الخير والصلاح، إذ يقوم على ضوابط وأحكام لابد من الالتزام بها.

إن من أهم المشاكل التي يعيشها المجتمع الإسلامي اليوم، انغماسه في ملذات الحياة، دون تحديد آثارها السلبية والإيجابية، مما ترتب عن هذا الانغماس مجموعة من المشاكل النفسية والاجتماعية، كالقلق، والأنانية، وضعف الإيمان، والخوف من المستقبل.. هذه المشاكل وغيرها دفعت بكثير من العلماء إلى إيجاد حلول ناجحة في معالجتها والحد منها. ويعد الاستغفار من أهم الحلول الأصيلة والناجحة في معالجة هذه المشاكل والمساهمة في الحد منها.

مشكلة الدراسة:

يأتي هذا المقال ليجيب عن كثير من التساؤلات المرتبطة بموضوع الاستغفار، انطلاقا من تحديد حقيقته الشرعية ودلالته اللغوية والاصطلاحية، وانتهاء بإبراز أسراره وفوائده الكثيرة على النفس الإنسانية، حيث أن هناك من يدعي وينكر أهمية الاستغفار وفوائده، لذلك أود الكشف عن فوائده بأسلوب علمي، موظفا في ذلك المنهج التحليل والوصفي، الذي يتناسب مع البحث، لا سيما وأن الاستغفار جامع لمنابع الخير.

وعليه فإن منطلق الدراسة يكون من خلال طرح مجموعة من التساؤلات التالية:

- ما حقيقة الاستغفار وأهميته؟
- وما هي فوائد الاستغفار؟
- وإلى أي حد يحقق الاستغفار المعنى الشمولي للعبادة من منطلق الخضوع والرغبة والتقرب إلى الله عز وجل؟

منهج الدراسة:

إن طبيعة البحث استدعت توظيف المنهج الوصفي الذي تنسجم خطواته مع البحث في عرض آداب الاستغفار وفوائده، بالإضافة إلى اعتماد المنهج التحليلي، لتحليل وتمحيص القضايا المتعلقة بالاستغفار واستنطاقها.

أسباب اختيار الموضوع:

إن من أهم الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع، حاجة المجتمع اليوم إلى الاستغفار والمداومة عليه، وذلك لما له من الفوائد المهمة والآثار الطيبة التي تساهم في تربية النفس وإصلاحها، خاصة وأن المجتمع يعيش مجموعة من المشاكل كالخوف والقلق والاضطراب النفسي، بالإضافة إلى وجود بعض من الناس من ينكر أهمية الاستغفار وفوائده وعزوف آخرين منهم عن إقامته وفعله والتزامهم به.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان فضل الاستغفار وأهميته والحاجة إليه، مع إبراز فوائده الكثيرة، الرامية إلى إصلاح الفرد والمجتمع، مما يتخبط فيه من المشاكل النفسية المستعصية، وتوجيهها نحو الخير، مع بيان أهميته وفوائده على النفس البشرية، وغيرها من الأهداف التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- بيان حقيقة الاستغفار وفضله.
- إبراز أهمية الاستغفار والحاجة إليه في زمان ومكان.
- إظهار فوائد الاستغفار وآثره الطيبة على النفس.

هيكل الدراسة:

لقد قسمت الموضوع إلى مبحثين رئيسيين، وانطلقت فيه بمقدمة تناولت فيها ذكر موضوع البحث ومشكلته، وأهميته، وأهدافه، وسبب اختياره، ثم خصصت المبحث الأول للبحث حول تعريف الاستغفار في الدلالة اللغوية وفي الاصطلاح، ونظرت إلى بعض المصطلحات القريبة من الاستغفار كالعفو، ثم وقفت في المبحث الثاني عن آداب الاستغفار وفوائده على النفس.

وجاءت خطة البحث المقرحة كالتالي:

- المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية لقيمة للاستغفار
- المبحث الثاني: آداب الاستغفار وفوائد على النفس
- خاتمــة وتوصيات

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية لقيمة للاستغفار

ننطلق في هذا المحور الأول من بيان حقيقة الاستغفار ودلالته اللغوية والاصطلاحية.

أولاً: الاستغفار في اللغة

يأتي الاستغفار في معاجم اللغة بمعنى السَّتْر والوِقَايَة. يقول ابن فارس(ت:395هـ): "الغين، والفاء، والراء، عُظمُ بابِه السَّار، ثم يشذُّ عنه ما يُذكر. فالغَفْر: السّتر. والغُفْرَان والغَفْر بمعنى. يُقال: غَفَرَ الله ذَنْبَه غَفْرا وَمَغْفِرَة وَغُفْرَانا[1]".

وفي معجم العين للفراهيدي (ت: 170هـ): يأتي الاستغفار من َالغفَرَ و**المِغْفَر**، وهو وقايةٌ للرَّأس، وغَفِرَ الثَّوْبُ. والغِفارة الرَّبابةُ التي تُغْفِرُ الغَمام عليكَ، أي تُغَطيه، لأنها تحت الغَيْثِ، فهي تَسْتُرُهُ عَنْكَ[2].

ويقال في اللغة أيضا غفر الله له 'غَفْرا' و'غُفْراناً' أي من باب الصفح عنه و'المَغْفرةُ' اسم منه واسْتَغْفَرْتُ' سألتُهُ المغفرة، واغتفرتُ للجاني ما صَنَعَ، وأصْلُ 'الغَفْر' السّتر ومنه يقال الصِبْغُ 'أَغْفَرَ

[1]- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (دون ذكر مكان النشر) دار الفكر للطباعة والنشر (د.ط)، سنة: 1399-1979، (385/4).

[2]- الخليل الفراهيدي، معجم العين، تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، سنة:1424-2003، (285/3).

لَلْوَسَخِ أي أَسْتَرُ والمِغْفَرُ بالكسر ما يُلْبَسُ تحت البَيْضَة و'غِفَارٌ' مثلُ كتابِ حيٌّ منَ العَرَبِ[1]، والغفَّار الغفور هو الله تعالى الذي يغفر الذنوب مغفرةً وغفرانا وغَفْرًا[2].

ويَتضح مما سبق أنّ الاسْتِغْفَار في الدلالة اللغوية يُسْتعمل لمعاني أَهَمّها: ما دل على الشَّدِّ، والسَّتْرِ، والوِقَايةِ. لأن الذي يَقِي العباد وَيَسْتُرهم في الحقيقة هو الله تعالى الغفور الذي يَغْفِرُ الذنوب، ويستر العيوب.

وعند أهل اللغة أن هناك فرق بين العفو والغفران، فيقال عفوت عنه، يقتضي ذلك أنك محوت الذنب والعقاب عنه، ويقال: غفرت له، فيقتضي ذلك أنك سترت له ذنوبه ولم تفضحه به[3]. وبيانه أن العفو هو إسقاط للعقاب، وأما المَغْفِرَة فهي ستر الجرم وصونه. يقول الكفوي(ت:1093هـ) في بيان حقيقة العفو والمغفرة: "فالعفو من عفا، لا يتعدى بنفسه إلى المفعول به، وإنما يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب أيضا، فالعفو هو إسقاط العقاب، والمغفرة ستر الجرم صونا من عذاب التخجيل والفضيحة، فالعفو قد يكون قبل العقوبة، وقد يكون بعدها، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، ولا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده[4]".

ثانياً: الاستغفار في الاصطلاح

يأتي الاستغفار في الدلالة الاصطلاحية ليدل على الستر، والوقاية، والمغفرة، والمَغْفِرَة كما بينها الجرجاني (ت:816هـ) هي "أن يستر القادر القبيح الصادر ممن تحت قدرته حتى إن العبد إن سَتر عيب سيّده مخافة عتابه لا يقال غفر له[5]". ومعناه أن الذي يغفر الذنوب والمتصف بالمغفرة المطلقة هو الله تعالى القادر على كل شيء أزلا وأبدا، لا يعجزه في الوجود شيء.

[1]- الفيومي، المصباح المنير، تحقيق: عبدالعظيم الشناوي، (بدون ذكر مكان الطبع) دار المعارف، ط: الثانية، (ص449).

[2]- الخليل الفراهيدي، معجم العين، (285/3)بتصرف.

[3]- لأبي هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق: ابراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة، (بدون ذكر سنة الطبع)، (ص26).

[4]- لأبي البقاء الكفوي، الكليات، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط:2، 1419-1998، (ص630) بتصرف.

[5]- الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: محمد المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، (بدون ذكر الطبعة وسنة الطبع)، (ص188).

وقال الراغب الأصفهاني(ت:502هـ): والغُفران والمَغفرة من الله هو أن يصون العبدَ من أن يمسّه العذاب لقوله تعالى: {**غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**} [البقرة:285]، وفي قوله تعالى: {**وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ**} [آل عمران:135]. والاستغفار هو طلب المغفرة بالمقال والفِعَال[1]. ومقصوده أن الاستغفار ينبغي أن يكون بالقول والفعل الذي يوافقه. ويقول ابن حجر(ت:852هـ) في بيانه معنى الاستغفار: هو اسْتِفعال من الغُفران وأصله الغَفْر: وهو إلباس الشّيء ما يصونه عَمّا يُدَنِّسه، وتدنيس كل شيء بِحَسَبِه، والغفران من الله أن يَصُونَه عن العذاب[2]".

وقد بين العرفاجي حقيقة الاستغفار: في كونه مأخوذ من الغفر، وهو الستر والتغطية لما يكره ويخاف منه، وهو من الأمور المطلوبة للمسلم شرعا، لما يترتب عليه من فوائد جمة تظهر الافتقار إلى الله وإظهار الذل بين يديه والاعتراف بالتقصير والخلل، وذلك يؤدي إلى مغفرة الله للمستغفر وستره في الدنيا والآخرة[3]".

وقد ورد ذكر الاستغفار في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه كما حكاه الدمغاني(ت:478هـ)، منها:

- الوجه الأول: الاستغفار من الشرك كما جاء في سورة هود في قوله تعالى: {**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**}[هود:90].
- الوجه الثاني: الاستغفار بمعنى الصلاة، في قوله تعالى: {**الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ**}[آل عمران: 17]، يعني المصلين، وفي قوله تعالى من سورة الذاريات {**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**} [الذاريات:18].
- الوجه الثالث: هو الاستغفار بعينه وهو طلب لمغفرة بالقول والعمل، كما جاء في قوله تعالى من سورة يوسف {وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ} [يوسف:29]، يعني استغفري زوجك فلا يعاقبك

[1]- الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن، تحقيق: صفوان عدنان، دمشق، بيروت، دار القلم، دار الشامية، ط 4، سنة: 1430-2009. (ص609).

[2]- ابن حجر، فتح الباري، تحقيق: شعيب الأرنؤطي، وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، ط1، سنة: 1434-2013، (219/19).

[3]- محمد، العرفاجي، الاستغفار وثمراته العاجلة والآجلة (بدون ذكر الدار والطبعة، وسنة الطبع)، (ص8).

بالذنب{إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}[يوسف: 29]. وقد ورد ذكر الاستغفار والحث على فعله في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي تدل على أهميته ومكانته، وفضله.

المبحث الثاني: فوائد الاستغفار وأثره على النفس

قبل الحديث عن فوائد الاستغفار وأثره على النفس، لابد من الإشارة إلى أهمية الاستغفار والحاجة إليه، فقد خلق الله تعالى الإنسان وأنعم عليه بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وأمره بعبادته عز وجل، لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:56], فالعبادة سر وجود الخلق، تستدعي من العبد الخضوع والتذلل والطاعة لله تعالى، ومن أسس العبادة لله تعالى ومقوماتها التزام العبد بالاستغفار، والاستغفار هو طلب السّتر والوقاية مما يقع فيه العبد من المعاصي والذنوب التي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة، فيكون طلب الاستغفار من شِيم العبد الخاضع لله تعالى. وهو منهج الأتقياء الصادقين مع الله تعالى في القول والعمل، والمتوكلين عليه في السر والعلن، والقائمة بالطاعة إيمان واحتسابا، يرجون منه عز وجل الرزق، والعطاء، والخير والصلاح.

وفي المقابل تجد غير هؤلاء من فئات المجتمع في غفلة وانقطاع عن الاستغفار، وهم أشد الناس حاجة إليه، لما هم عليه من الذنوب والمعاصي التي تمرض القلوب وتهلك النفوس، فيعش الفرد منهم على أخلاق مترديّة فاسدة لا يخرج من جحيمها إلا بالاستغفار وطلب المغفرة منه عز وجل. لذلك فإن العبد في حاجة دائمة إلى الاستغفار، فهو مخلوق من طبيعته الخِلقية أن يقع في الذنوب والمعاصي والزلات التي فيها تعدي على الحقوق كحق من حقوق الله تعالى، أو حقوق الغير.

لذلك فإن العبد الذي ينكر أهمية الاستغفار في حياته، ويغفل عنه، ينبغي أن يتساءل عن غاية وجوده، وعن مصيره بعد موته، وكيف يكون حاله بعد هلاكه؟، هذه أسئلة المقلقة وغيرها تكون في الحقيقة دافعة ومحركة لمشاعر الناس عن غفلتهم، بالتزام العبادة عامة، والاستغفار خاصة.

ولكي تتحقق فوائد الاستغفار في النفس، لابد من معرفة ضوابط وآداب الاستغفار، وهو ما ستناوله في العنصر الأول المتعلق بآداب الاستغفار، الذي يثمر فوائد طيبة سنتناولها في العنصر الثاني المتعلق ببيان فوائد الاستغفار وآثاره الطيبة على النفس.

أولاً: آداب الاستغفار

لقد جعل الله تعالى الاستغفار من أبواب الطاعات التي يلجئ كل عبد مؤمن صادق إلى الله تعالى في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء.. ففي كل الأوقات باب الاستغفار مفتوح، يوصل

العبد إلى رحمة الله تعالى ومغفرته الواسعة التي شملت جميع الكائنات فيكتبها لمن شاء من عباده. لذلك فإن الاستغفار يعد من العبادات الشرعية التي أمرنا بها الشرع الحكيم وحثنا على التزامه والمداومة عليه، لقوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}[هود:90]. وفي قوله تعالى: {**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**}[النساء:106]، ذهب الطبري(ت:310هـ) في تفسير هذه الآية: أن معناها أن يستغفر النبي صلى الله عليه وسلم من ذنبه في خصامه للخائنين[1]. وخالف هذا القول ابن عطية الأندلسي(ت:546هـ) في كونه ليس على النبي –عليه الصلاة والسلام- ذنب، وأن المعنى المقصود من الآية هو طلب الاستغفار للمذنبين كما حكاه: "استغفر للمذنبين من أمتك والمتخاصمين في الباطل، لا أن تكون ذا جدال عنهم، فهذا حدك، ومحلك من الناس أن تسمع من المتداعين وتقضي بنحو ما تسمع، وتستغفر للمذنب[2]". وقوله تعالى في سورة النساء: {**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**}[النساء:110]. قال البيضاوي (ت:691هـ): وفيه حث على التوبة والاستغفار[3]". ومن لطائف هذه الآية الكريمة جاء ارتباط صفة المغفرة بصفة الرحمة، فالله تعالى متصف بالرحمة والمغفرة، ومن أسمائه الحسنى الغفور، الغفار، والرحمن، الرحيم..، فهو يغفر الذنوب لمن شاء من عباده، ويرحمهم برحمته الواسعة التي شملت الوجود. فمهما ارتكب العبد من المعاصي والذنوب فإنه له ربا واحدا رحيما غفورا. لذلك فإن المبادرة إلى التوبة، وطلب المغفرة هي من صفات المؤمن التقي، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا أذنب العبد ذنبا فقال: اللهم اغفر لي فقال ربه: أعلمَ عبدي أنه له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي..[4]"، يقول القرطبي(ت:656هـ) في "المُفْهِم[5]"يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه...[6]".

---

[1]- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، سنة:1415-1994، (550/2).

[2]- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، (110/2).

[3]- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت، إحياء التراث العربي، ط.1، (بدون سنة الطبع)، (96/2).

[4]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: "يريدون أن يبدلوا كلام الله"، بيروت، دار ابن كثير، سنة: 1423-2002 رقمه: (7507). (ص1852).

[5]- المُفْهِم لِمَا أُشْكِلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِم، للأمام الحافظ المفسر أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المتوفي سنة(656هـ) للهجرة، يشرح ويبين فيه صحيح الإمام مسلم، حقق عدة مرات من أهمها تحقيق كل من، يوسف علي بديوي، ومحمود إبراهيم بزال، وغيرهم.

[6]- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، (459/24).

فالاستغفار وطلب المغفرة من الله تعالى من صفة وسلوك المؤمن الصادق مع الله تعالى، وهو حال الأنبياء والصالحين من عباد الله تعالى، فكل الأنبياء والمرسلين- وما لهم من الدرجة الرفيعة والمكانة العالية عند الله تعالى-، فإن لسانهم كان رطبا بالاستغفار وطلب المغفرة منه عز وجل في كل الأحوال، وهذا هو حال جميع المرسلين وعباد الله الصالحين، وذلك لإدراكهم أهمية الاستغفار وفضله وفوائده الخيرة. وحتى تحصل تلك الفوائد وتتحقق في النفوس لابد من آداب ينبغي مراعاتها في الاستغفار، ومن جملة هذه الآداب مايلي:

1) الإقلاع عن الذنب والمعصية

إن زينة الاستغفار وكماله إقلاع المستغفر 'العبد' عن الذنب والمعصية حينها، لأن طلب المغفرة من الله تعالى تقتضي ترك المعصية والابتعاد عنها. كما لا ينبغي استصغار الذنب، أو الفرح به، أو الإصرار عليه، بل ينبغي الترك والابتعاد عن المعاصي والذنوب مع الندم الذي يُورث القصد والعزم. يقول ابن الجوزي(597هـ): الذنوب تُمرض القلوب، ويَقوى مرضها على قدر كثرتها، والإصرار مرضٌ يُختصُّ بعين القلب، والذنوب تؤثِّر في ذات القلب ظُلمة وفي باطنه مرضاً، فإذا دامت فَتَرَتْ حركاتُه في الخير فتصير كالسكتة تلحق المغشيّ عليه وربما أخرجت إلى الموت[1]"اهـ. وهذه آفة أبتلي بها كثير من الناس في زماننا، يفعل المعاصي ويتفاخر بها بين الناس.

2) الإخلاص والإيقان بالإجابة من الله تعالى

إن من آداب الاستغفار توجه العبد إلى الله تعالى بإخلاص ويقين في كون الذي يجيب الداعي ويقبل التوبة ويغفر الذنوب هو الله تعالى، فلا يفعل أو يتلفظ بما ينافي هذا اليقين، فهو عز وجل الذي يغفر الذنوب لمن شاء من عباده، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" يَتنزَّل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثُلُث الليل الآخر فيقول: مَن يدعوني فأستجيبَ له، من يسألني فَأُعطيَه، من يستغفرُني فَأغفر له[2]". إلا الشرك فإنه ظلم لا يغفره الله تعالى لمن مات عليه.

وهو سبحانه وتعالى الذي يجيب ويعطي لمن شاء ما شاء، فقد روي أن أعرابيا شكا إلى علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- شدة لحقته وضيقة حاله، وكثرة عياله، فقال له: عليك بالاستغفار[3].

---

[1]- ابن الجوزي، التبصرة، تحقيق: مصطفى عدالواحد، القاهرة، دار السلام، ط.2، سنة: 1433-2012، (750/1)

[2]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله: "يريدون أن يبدلوا كلام الله"، رقمه: (7494). (ص1850). ولينظر فتح الباري، لابن حجر، (446/24).

[3]- الباجي، سنن الصالحين، تحقيق: ابراهيم عبدالمجيد، بيروت، دار ابن حزم، ط.1، سنة: 1424-2003، (102/1).

فالاستغفار التام هو القائم على الإخلاص واليقين بالله تعالى بالاستجابة، وأما الشك والظن فهما من خوارم الاستغفار، لذلك فإن بعض الناس تنطبق عليهم مقولة رابعة العدوية –رحمها الله- حين قالت: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير[1]"اهـ. فمن أسس الاستغفار ومستلزماته القصد والإخلاص في الاستغفار، بأن يكون خالصا لله تعالى من دون شك ولا شوب.

3) حسن التأدب مع الله في الاستغفار

إن من صفات المؤمن التزام الأدب مع الله تعالى عند الاستغفار، فلا يقول العبد ما ينافي الأدب كقول القائل: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت.."، ففي هذا القول إساءة الأدب مع الله تعالى، وهو منهي عنه لقوله -عليه الصلاة والسلام-: لا يقولنَّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شِئت الله ارحمني إن شئت، ليعزم المسألةَ فإنه لا مُستكرِهَ له[2]"اهـ. بل ينبغي أن يكون الاستغفار قائما على أقصى غاية التذلل والخضوع لله تعالى، ومن شواهد خضوع الصالحين أن أحدهم سمع أعرابيا يقول وهو متعلق بأستار الكعبة: "اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليّ بالنِّعم مع غِنَاك عني، وكم أتبغّضُ إليك بالمعاصي مع فَقْرِي إليك، يَا مَنْ إذَا وَعَدَ وَفَى، وإذا أَوْعَد عفا، ادخل عَظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين[3]". وقال أبو عبد الله الوراق: "لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا إن شاء الله[4]".

4) استحضار كماله عز وجل وعظمته

إن العبد المتوجه إلى الله تعالى بطلب المغفرة ينبغي عليه استحضار كماله وعظمته -سبحانه وتعالى- في هذا الوجود، واستحضار مراقبته في السر والعلن، يثمر فيه ما يدعو العبد إلى الطاعة والخضوع، فيؤدي الواجبات ويجتنب المعاصي والمنهيات، فتكون أفعاله شاهدة على مدى العفو والرضا منه تعالى، وخير موصل إلى هذا المقام هو القرآن الكريم والتدبر في أسراره ومعانيه، قال قتادة: "القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار"اهـ[5], لذلك نجد

[1]- الباجي، سنن الصالحين، (101/1). ولينظر إحياء علوم الدين، للغزالي، دار ابن حزم، ط.1، سنة:1426-2005 (ص372).

[2]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له، رقمه: (6339). (ص1581).

[3]- الباجي، سنن الصالحين، (110/1)، ولينظر إحياء علوم الدين، للغزالي، (ص372).

[4]- الغزالي، إحياء علوم الدين، (ص372).

[5]- الباجي سنن الصالحين، (101/1).

القرآن الكريم يدعونا إلى الاستغفار في كثير من المواطن، كما جاء على لسان نوح –عليه السلام- في قوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}[نوح:10]، فالنبي نوح -عليه السلام- كان داعيا قومه إلى الاستغفار، مستحضرا عظمة الله تعالى وكماله وجوده في تسخير الخيرات لقومه، يقول البغوي(ت:516هـ) في تفسيره: "ذلك أن قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أموالهم ومواشيهم، فقال لهم نوح: استغفروا ربكم من الشرك، أي استدعوا المغفرة بالتوحيد، يرسل السماء عليكم مدرارا[1]". أي بالخير.

فهذه جملة من آداب الاستغفار التي ينبغي أن يتحلى بها العبد المؤمن لتحقيق فوائده والتي سنقف عليها في العنصر الموالي من هذا الفصل.

ثانياً: فوائد الاستغفار وأثره على النفس

لاشك أن دعوة العباد إلى الاستغفار في الوحي من مستلزمات العبادة، فقد دعا القرآن الكريم العبد إلى الاستغفار من الله تعالى الغفار الذي يغفر الذنوب والمعاصي، ويرزق المغفرة لمن شاء من عباده، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ }** [آل عمران:135]، وغيرها من الآيات والأحادية النبوية الداعية إلى أهمية الاستغفار وفضله، إذ يترتب عنه مجموعة من الفوائد الخيّرة على العباد، ومن هذه الفوائد ما يلي:

1) أن كثرة الاستغفار من صفات المؤمنين المتقين

إن من أجل صفات المؤمن الصادق إظهار التذلل، والخضوع، والحاجة، والافتقار إلى الله تعالى، مع كثرة الاستغفار والإلحاح في الطلب دون كلٍّ أو ملٍّ، كما كان يفعل النبي -عليه الصلاة والسلام-، فقد كان يكثر من الاستغفار حتى قال: "والله إني لأستغفرُ الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرة[2]". وفي رواية أخرى: "إِنَّهُ لَيُغَانُ على قَلبي، وإنّي لأستغفرُ اللهَ في اليَوْم مِائَةَ مرّةٍ[3]". ففي الحديث إشارة إلى الإكثار من الاستغفار.

[1]- البغوي، معالم التنزيل، (230/8)

[2]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي في اليوم والليلة، رقمه(6307)، (ص1574).

[3]- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، الرياض، دار طيبة، سنة: 1427-2006 ، رقمه: (2702)، (ص1243).

2) أنه سبب للنجاة من الخسران

إن دوام التزام العبد بالاستغفار مدعاة إلى اجتناب الخسران في الدنيا والآخرة، فالذي يستغفر ربه من الذنوب والمعاصي يجده غفورا رحيما، ينجيه في الدنيا والآخرة، وأما الذي تغافل عن الاستغفار وطلب المغفرة منه، فيكون حاله الخسران المبين، لذلك نجد كل الأنبياء والمرسلين كان لسانهم رطبا بالاستغفار، منذ أن خلق الله تعالى آدام -عليه السلام- الذي طلب منه عز وجل المغفرة في قوله تعالى: **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**[الأعراف:23]. ومن الخصال والصفات الطيبة أن العبد يطلب المغفرة من الله تعالى لنفسه ولأهله ولأقربائه وللناس، وهو ما جاء في القرآن الكريم على لسان إبراهيم –عليه السلام- في قوله تعالى: **{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ}**[ابراهيم:41].

وهذا هو حال الأنبياء والمرسلين الذي دعوا أقوامهم إلى التزام الاستغفار مهما ارتكبوا من الذنوب، فقد كان خاتم الأنبياء والمرسلين معلما، ومرشدا، ومربيا، وداعيا الناس إلى الاستغفار، روي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "والذّي نَفْسي بِيَدِه لو لم تُذْنِبوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعالى بِكُم، وَلَجَاءَ بِقَوم يُذْنِبون فَيَسْتَغفرون الله تعالى فَيَغْفِرُ لَهُمْ[1]". ويفهم من الحديث أن ارتكاب الذنب من العبد دليل على العجز والافتقار إلى الله تعالى المتصفة بالرحمة والمغفرة، ينبغي المداومة على الاستغفار والإسراع إليه، وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على تعليم وتربية الأجيال على الاستغفار، ويوصي أهل بذلك، ويقول: رب اغفِرْ لِي خَطيئتي وجهلي، وإسرَافِي في أمري كله وما أنتَ أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطايا وعمدي، وجهلي، وجدّ وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخّرت وما أَسْرَرت وما أعلنتُ أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير[2]". وكان عليه الصلاة والسلام يحث الصحابة على فضيلة الاستغفار والمداومة عليه في حياتهم، فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي -عليه الصلاة والسلام- علِّمني دُعاء أدعوا به في صلاتي قال: قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظُلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك

[1]- مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، (رقمه:2749)، ولينظر رياض الصالحين، للنووي، (ص649).

[2]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي: "اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت"، رقمه: (6398). (ص1594).

أنت الغفور الرحيم[1]". قال الكرماني(782هـ): هذا الدعاء من الجوامع، لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة ستر الذنوب ومحوُها، والرحمة إيصال الخيرات، ففي الأول طلب الزَّحزَحَة عن النار، وفي الثاني طلب إدخال الجنة، وهذا هو الفوز العظيم[2]"اهـ.

3) أنه سبب لفتح أبواب الرزق

إن كثرة الاستغفار والمداومة عليه من أسباب فتح أبواب الرزق، ونيل العطاء من الله تعالى دون حساب، فهو الذي يعطي لمن شاء من عباده، فكلما تقرب العبد إلى الله تعالى بالذكر وكثرة الاستغفار كلما نال حظه من الخير والعطاء، لقوله تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11)وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا}[نوح:10-12]. فالأرزاق تختلف وتتفاوت من شخص إلى أخر، فكلما كان العبد حريصا على الاستغفار، إلا وفتح الله تعالى له أبواب الرزق والخير. لذلك ينبغي الحرص على لزوم سنة الاستغفار، واستحضار نِعَم الله تعالى كما كان يفعل النبي-عليه الصلاة والسلام- فيناجي ربه بسيد الاستغفار كما بينه، وهو أن يقول العبد: "اللهمَّ أنتَ ربّي لا إلهَ إلا أنت، خَلَقْتني وأنا عبدُك وأنا على عَهْدِكَ ووعدِكَ مَا اسْتَطَعتُ، أعوذُ بك من شر ما صنعتُ، أبُوءُ لك بنعمتكَ عليَّ، وأبُوءُ لك بِذَنْبِي، اغفر لي فإنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت[3] "اهـ.

ومن جملة لطائف هذا الحديث النبوي أنه تضمن من المعاني والأسرار العظيمة ما يحق له أن يسمى بسيد الاستغفار، فقد تضمن التوحيد المطلق لله تعالى، والإخلاص واليقين التام، مع الخضوع والتذلل لله تعالى، مستندا على الرجاء وطلب التوبة والمغفرة منه عز وجل المتصف بنعوت الكمال وصفات الجلال، بهذه اللطائف تستقيم النفس البشرية على الخير والطاعة.

هذه جملة من فوائد الاستغفار التي تزيد العبد إيمانا، ويقينا، بأن الذي يستحق العبادة هو الله تعالى، جعل من الاستغفار طاعة له، تطهر قلوب العباد من الخوف، والقلق على الرزق والمستقبل، وتجعل النفس مطمئنة طائعة لله تعالى، ملتزمة بـأوامره تعالى مجتنبة نواهيه.. وغيرها من الفوائد

[1]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة، رقمه: (6326). (ص1578).، لينظر صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقمه: (2705). (ص1244).

[2]- ابن حجر فتح الباري، (284/19).

[3]- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب أفضل الاستغفار، رقمه (6306)، (ص1573)، ولينظر رياض الصالحين، للنووي، دار الريان للتراث، (بدون ذكر الطبعة والسنة)، (ص650). ولينظر عمل اليوم والليلة، للنسائي، (ص333).

التي تعود على النفس بالخير والصلاح، وهي في الحقيقة أدلة صادقة أمام الذي ينكر أهمية الاستغفار وفوائده، وإشارة إلى إيقاظ الهمم من الغفلة، والتزام العبد الاستغفار.

الخاتمة:

إذا علم أن الاستغفار من الطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، تذللا وخضوعا، ومحبة، دلّ على تمام العبودية لله سبحانه وتعالى بما يقتضيه من توحيد وإيمان صادق ويقين ثابت بأن الذي يستحق العبادة هو الله تعالى وحده دون سواه، وهو سبحانه الذي جعل الاستغفار منهج أوليائه المؤمنين الصادقين، وطريق السالكين إلى الخير والصلاح، فيكتمل صرح الاستغفار بالقول والفعل والتزام آدابه وضوابطه، ليثمر في النفس قيم الخير والصلاح، الدافعة إلى تقدم الأفراد والمجتمع.

النتائج:

أهم النتائج التي توصل إليها في البحث، يمكن إجمالها في ما يلي:

- الاستغفار يعد من مقومات العبادة.
- الاستغفار منهج المخلصين والصادقين مع الله تعالى
- الاستغفار من الطاعات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى
- الاستغفار له آثار طيبة في الفرد والمجتمع
- أن الاستغفار دافع إلى إصلاح النفس وتربيتها على الأخلاق والقيم الحسنة، الكفيلة في تقدم وتطور المجتمع، والرقي به نحو الأفضل
- أن فوائد وثمار الاستغفار تتحقق من خلال التزام العبد بآدابه وضوابطه الشرعية.

التوصيات:

- دعوة الباحثين إلى الاهتمام بهذا النوع من الدراسة من كل الجوانب
- الحرص على بيان أهمية فوائد الاستغفار بكل الوسائل المتاحة
- إرشاد الناس وتوعيتهم بأهمية الاستغفار وفضله
- تربية الأجيال على قيم الاستغفار وفوائده.
- إبراز فوائد الاستغفار والحث عليه
- العمل على نشر قيم الاستغفار وفوائده

- إقامة ندوات ومحاضرات علمية حول أهمية الاستغفار وفوائده.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للمفسر ناصر الدين البيضاوي، تقديم عبدالرحمن المرغشلي، بيروت، إحياء التراث العربي، ط.1. (بدون ذكر سنة الطبع).
- التبصرة، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار السلام، القاهرة، ط.2، سنة: 1433-2012.
- إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، بيروت، ط.1، سنة: 1426-2005.
- الفروق اللغوية، للأديب اللغوي أبي هلال العسكري، تحقيق، إبراهيم سليم، مصر، دار العلم والثقافة.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، سنة: 1422-2001.
- الكليات لأبي البقاء أيوب الحسيني الكفوي، بيروت، مؤسسة الرسالةط 2، سنة: 1419-1998.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد على الفيومي(770)، تحقيق، عبدالعظيم الشناوي،(بدون ذكر مكان الطبع) دار المعارف، ط 2، سنة، 1119.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام الطبري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 1، سنة: 1415-1994.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، بيروت، دار ابن كثير، ط.1، سنة: 1423-2002.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار طيبة،الرياض، ط.1، سنة: 1427-2006.
- عمل اليوم والليلة، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، (بدون سنة الطبع).

- معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق، عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط 1، سنة، 1424-2003.
- معجم التعريفات لمحمد الشريف الجرجاني، تحقيق، محمد المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: سليمان الحرشي وآخرون، دار طيبة، الرياض، ط. سنة: 1412.
- مفردات القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان، دمشق، بيروت، دار القلم، دار الشامية، ط 4، سنة: 1430-2009.
- سنن الصالحين، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (474)، تحقيق، إبراهيم عبد المجيد، بيروت، دار ابن حزم، ط 1، سنة، 1424-2003.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق شعيب الأرنؤوطي، وعادل مرشد، دار الرسالة العالمية، ط 1، سنة: 1434-2013.
- رياض الصالحين، للإمام أبي زكرياء يحي شرف الدين النووي(676)،تحقيق: عبد الله التركي، دار الريان للتراث(بدون سنة الطبع).
- الوجوه والنظائر في القرآن، للمفسر الحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق، عبدالعزيز سيد الأهل، بيروت، دار العلم للملايين، ط 4، سنة الطبع: 1983.
- الاستغفار وثمراته العاجلة والآجلة، محمد، العرفاجي، (بدون دارالطبع وسنة الطبع).